الحقيقة حول الصهيونية

رومان برودسكي

تنتشر معسكرات الخيام للاجئين الفلسطينيين بعيدا فوق الرمال القاحلة . فمئات الالوف من العرب ، وقد طردهم من ارض بلادهم الغزاة الصهاينة الذين جعلوا منها « مجالا حيويا » خاصا بهم ، لا يجدون الا بصعوبة ما يبقيهم احياء بمعونة المؤسسات الخيرية . واولادهم ، المنهمكون في الحصول على لقمة عيش ، لا يعرفون من مباهج الطفولة شيئا . وقد ولد جيل كامل من العرب الذين لم يروا وطنهم ابدا ونشأوا في المنفى .

اربع مرات اندلعت الحرب في الشرق الاوسط في اقل من عقدين . وكانت القوات الاسرائيلية تجتاح مخيمات اللاجئين العرب وتترك الدمار والرماد خلفها ، وتبعثها الالام والعذاب اينما ذهبت ، لكون الصهيونية لا تعرف الرحمة .

صارت الصهيونية حركة سياسية بين البورجوازية اليهودية في نهاية القرن التاسع عشر ، عندما ازدادت العداوات الطبقية حدة بمجيء الامبريالية. كان الاب الروحي للحركة هو تيودور هيرتزي ، احد اعضاء هيئة تحرير « **نيو فراي بريس** » انذاك ، وهي صحيفة تصدر في فيينا . ولد في عائلة تاجر ثري ، واندمج اندماجا تاما في المجتمع ، مغيرا اسمه اليهودي الى اسم نمسوي ـ تيودور هيرتزل ومع ان هيرتزل لم يكن يعرف اللغة العبرية ولا التاريخ اليهودي ، فقد صار ايديولوجي القومية اليهودية .

نشر هيرتزل كتابه « الدولة اليهودية » (١٨٩٥)، مستغلا حالة مؤاتية كانت قد نشأت بعد القضية المشهورة لالفرد دريفوس ، وهو ضابط برتبة كابتن في الاركان العامة الفرنسية اتهمه اللاساميون ظلما بالتجسس لالمانيا وحكم عليه عام١٨٩٤ بالسجن مدى الحياة . وفي كتابه دعا هيرتزل اليهود الى عدم الجلوس وانتظار مجيء المسيح ، بل الى المسارعة لاعادة استيطان « الارض التي وعدهم بها الله » وتأسيس دولة قومية يهودية هناك .

كحجة رئيسية لتأييد هجرة اليهود الجماعية الى فلسطين ، قدم هيرتزل ما دعاه اللاسامية العالمية الشاملة لا يمكن السيطرة عليها وكبحها ، اعتقادا منه بان الشعوب التي كان اليهود يعيشون بينها كانت جميعا لاسامية اما علنا او سرا . وسرعان ما تبنى اتباع هيرتزل هذه النظرة الخاطئة في الاساس . وهكذا فان حاييم وايزمان ، الذي كان انذاك استاذا للكيمياء في احدى الجامعات البريطانية ، ادعى ان اللاسامية هي جرائم يحملها كل امرىء معه اينما كان، رغم اقتناعه بعكس ذلك.

هذه النظرة القومية وجدت تحديا قويا من لينين. فقد فضح الطبيعة الرجعية للاسامية واشار الى « الصلة التي توجد بلا شك بين اللاسامية ومصالح البورجوازية ، دون مصالح اقسام الطبقة العاملة من السكان ... » وسخر لينين من « الخرافة الصهيونية حول كون اللاسامية ابدية » . (١)

وفي ١٨٩٧ عقد أتباع هيرتزل وانصاره اول مؤتمر دولي لهم في بال بسويسرا ، وفي هذا المؤتمر ولدت المنظمة الصهيونية العالمية. واستعارت المنظمة اسمها من جبل صهيون ، وهي تلة عند طرف القدس تقول التوراة ان منزل الملك داود ، حاكم اليهودية شبه الخرافي ، كان يقوم عليها . وقد بني هناك هيكل القدس ، الذي صار مركزا لليهودية ، في عهد الملك سليمان ، ابن داود .

ولا تقبل المنظمة الصهيونية العالمية باي افراد كاعضاء . فلدى تأسيسها وحدت ، وتستمر في توحيد ، جماعات واحزاب سياسية مختلفة ـ من حيروت الفاشي النزعة الى احزاب تسمي نفسها عمالية او حتى اشتراكية مثل ماباي ومابام . أما الهيئة العليا لمنظمة الصهيونية العالمية فهي « المؤتمر الصهيوني » الذي ينعقد دوريا ، ويعين الوندين اليه زعماء المنظمات الصهيونية في بلدان مختلفة . وفي الاصل كانت المؤتمرات تعقد سنويا، الا ان الفترات الفاصلة بينها ازدادت تباعدا فيما بعد ، الى ان صارت تعقد اليوم مرة كل اربعة اعوام . وينتخب المؤتمر « المجلس الصهيوني العالمي » الذي يؤلف اللجنة التنفيذية وله ممثلون